التقديس والتسبيح في المنطق العلوي

بقلم الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو

مَن أرادَ الوصـولَ إلى قمَّةِ التوحيدِ لابدَّ له من تجاوزِ كلِّ العقباتِ، وهي التَّعطيلُ والتَّجسـيدُ والتَّشبيهُ.

فالتَّعطيلُ هو نفيُ التَّجلِّي، وهو نِتاجُ غلوِّ أهلِ النَّفي، لأنَّ النَّفي هنا من دونَ إثباتٍ مُسـبَقٍ. والتَّجسـيدُ هو نعتُ جوهرِ الرَّبِّ بصـفاتِ أهلِ الحسِّ قبلَ الخلقِ، وهو نِتاجُ تقصـيرِ أهلِ التَّجسـيدِ. والتَّشبيهُ هو نعتُ جوهرِ الرَّبِّ بصفاتِ أهلِ العقلِ قبلَ الخلقِ، وهو نِتاجُ تقصيرِ أهلِ التَّشبيهِ.

أمَّـا عنـدَ السـَّالكينَ الْمُخلِصـينَ فـالإثبـاتُ هو إثباتُ التَّجلِّي، وهو الكفَّةُ الأولى في ميزانِ التَّوحيدِ، والإفرادُ هو نفيُ جميعِ النُّعوتِ والأعراضِ الْمَحسـوسـةِ والجواهرِ الْمَعقولةِ عن الجوهرِ بعد إثباتِ التَّجلِّي، وهو الكفَّةُ الثانيةُ في ميزانِ التَّوحيدِ.

وهذا يعني أنَّ التَّوحـيدَ له مرحـلتان هما التَّقديـسُ والتَّسـبيحُ، بدليلِ ما وردَ في الْمَزاميرِ الدَّاؤوديَّةِ: (خَلِّصْنا يا ربُّ إلهَنا، واجْمَعْنا مِنْ بَينِ الأُمَمِ لِنَحمَدَ اسمَكَ القُدُّوسَ ونُسَبِّحَ ونُهَلِّلَ لكَ)، فالتَّقديسُ لاسمِ الرَّبِّ إثباتًا، بينما التَّسبيحُ للرَّبِّ إفرادًا.

هذا يعني أنَّ التَّقديسَ هو مرحلةُ الإثباتِ لقول سيِّدنا المسيحِ (ع): (أَبَانَا الذي في السَّمواتِ لِيَتَقَدَّسِ اسمُكْ)، وهذا التَّقديسُ هو إثباتٌ لاسـمِ الرَّبِّ مع رفعِ الرَّبِّ عن الْمَكانِ والإمكانِ والانفعالِ والتَّعدُّدِ، وفي هذا الْمَعنى وردَ في سفرِ إشعياء: (قدُّوسٌ، قدُّوسٌ، قدُّوسٌ ربُّ الجنودِ، مَجدُهُ مِلءُ كلِّ الأرضِ).

أمَّا التَّسبيح فهو الإفرادُ الخالصُ للرَّبِّ عن النَّقائضِ والشُّركاءِ والإضـافاتِ والاعـتباراتِ والكَـثراتِ، أي عن الشِّـركِ بالأعراضِ والجواهرِ، وقد سُئِلَ الإمام علي (م) عن تفسير (سبحانَ اللهِ) فقال: (تعظيمُ وتنزيهُ الباري عمَّا قالَ فيه كلُّ مُشركٍ).

الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو